الرسالة الكويتية

كتبها

بدر بن علي بن طامي العتيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن من أصول الإسلام العظام، وقواعد الدين الجسام، الاعتصام بحبل الله جميعاً وأن لا نتفرق فيه، كما قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**﴾ الآية [آل عمران: ١٠٣] .

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [الأنعام:١٥٩] .

وقال تعالى: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [آل عمران:١٠٥] ، نسأل الله السلامة والعافية .

وقال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام:١٥٣] .

وقال تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال:٤٦] .

وما وقع النزاع بين المسلمين إلا أذهب الله ريحهم، ونزع مهابتهم من قلوب خصومهم، وسلَّط عليهم الأعداء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٤٢١) : «وهذا التفرق الذي حصل من الأمة علمائها ومشايخها ، وأمرائها وكبرائها : هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها ، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله ، كما قال تعالى : ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ**﴾[المائدة: ١٤] فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة

والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب».

وكما يتسلط العدو من الخارج بسبب الاختلاف فكذلك عدو الداخل فرصته حينذاك! كما أخبر النبي ﷺ عن الخوارج بأنهم: «**يخرجون حين فرقة من الناس**».

وقال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ**﴾ [الشورى:١٣].

وقال ربي سبحانه: ﴿**مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [الروم:٣١-٣٢].

وقال عزّ وجلّ فيمن ذمّ من المخالفين: ﴿**فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [المؤمنون:٥٣].

وروى البخاري ومسلم في "صحيحيهما" عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة**».

وعندهما عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

ولهما أنس بن مالك رضي الله عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**».

وروى الإمام أحمد في "مسنده" وأبو داود و الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، قالوا: بلى،**

قال: صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين».

فكل هذه النصوص تتفق شرعاً وقدراً على (استحباب الاجتماع) و(الترهيب من الافتراق) ونحن أمة التوحيد من جميع جهاته الحقة، فربنا واحدٌ لا نعبد إلا إياه، وليس هناك من البشر رجلٌ يجب علينا اتباعه غير النبي ﷺ، ولا مصدر لنا إلا الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، ولا جماعة لنا إلا جماعة المسلمين: ممن كان على مثل ما كان عليه النبيﷺ وأصحابه.

أنشد ابن القيم رحمه الله:

فلواحدٍ كُنْ واحداً في واحِدٍ ... أعْنِي سَبيلَ الحَقِّ والإيْمانِ
هَذي ثَلاثٌ مُسْعِدَاتٍ للَّذِي ... قَدْ نَالَهَا وَالفَضْلُ للمنَّانِ
فإِذَا هِيَ اجْتَمَعتْ لِنَفسٍ حُرَّةٍ ... بَلَغتْ مِنَ العَلْيَاء كُلَّ مَكَانِ

وقد جمع النبي ﷺ بين توحيد القصد وتوحيد الجماعة فيما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله يرضى لكم ثلاثاً: ألا تعبدوا إلا الله، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه أمركم**» متفق عليه.

فالفرقة عذاب، والجماعة رحمة، والأصل في أهل الإسلام (الجماعة) وفي أهل الكفر (الفرقة) وما تقع الفرقة بين المسلمين إلا بمشابهتهم للكفار بوجه من الوجوه، وبقدر المشابهة تكون الفرقة! فكلما عظم التشابه عظمت الفرقة، وكثرت فيهم الحيرة، والتناحر، وبغي بعضهم على بعض، وتكفير كل فرقة أختها، كما قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [البقرة: ١١٣] وفي الآخرة هم كذلك يلعن بعضهم بعضاً قال تعالى:

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في مسائل الجاهلية (ص: ٦): «الثانية: أنهم متفرقون في دينهم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣٢] ، وكذلك في دنياهم، ويرون ذلك هو الصواب، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى:١٣] فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩] . ونهانا عن مشابهتهم بقوله: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران:١٠٥] ونهانا عن التفرق في الدين بقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ...».

وكذلك الافتراق بين أهل السنة، فالأصل فيهم أنهم أهل السنة وأهل الجماعة، ومتى وقع بينهم الاختلاف فهو بمشابهتهم أهل البدع الذين هم أهل الفرقة الذين هم أشبه أهل الإسلام بأهل الجاهلية.

فالافتراق بين أهل الدين الواحد: من أصل دين الجاهلية، وليس من الإسلام في شيء.

والنهي عنه شرعاً لا يدفع وقوعه كوناً وقدراً، ثم يتعامل معه بما شرع الله تعالى من هجر أهل الكفر والبدع والمعاصي.

وقد بعث الله نبينا محمداً ﷺ رحمة للعالمين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

إذا تقرر كل ذلك، فإلى الله المشتكى ما يقع اليوم من تصرم حبال الوصال بين أهل السنة والجماعة، وانتشار التناحر والتدابر والتهاجر، بل والتجاسر إلى الإسقاط بالتبديع والتضليل، وكذلك حمل بعضهم بعضاً على خلع التلمذة والصحبة والصلة بين الطلاب والأشياخ، وبين الأشياخ والأشياخ، بل بين العامة وأهل العلم والسنة والفضل.

حتى استبيحت أعراض، وانتهكت حرمات، وأوغرت صدور، وسُرّ بسوء حال أهل السنة: أهلُ الضلال من الزنادقة وأهل البدع والأهواء، وتعطّلت جهود أهل السنة إلا من رحم الله، وغلب الجهل، وانتشر الهوى، وطاب الميدان للمخالفين مستفيدين من اشتغال أهل السنة بعضهم ببعض، وهذه والله حالقة الدين كما وصفها لنا نبينا محمد ﷺ فيما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإنني خلال زيارتي لدولة الكويت في نصف شهر صفر من عام ١٤٣٥هـ ساءني ما وقفت عليه من التدابر والتناحر، والتباغض والتهاجر، وقد طالني من شرر ذلك ما تكدر منه الخاطر، ونزف منه كل قاطر وماطر[١]، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكل هذه الفتنة اشتعلت بشرارة مهبولٍ! لم يُعرف بِعِلمٍ ولا حِلْمٍ، ولا مثافنةٍ لكبار العلماء، ثم آل أمره إلى سُنَّة عبدالله بن سبأ اليهودي في التحريش بين أهل السنة، والتفريق بينهم، والنيل من المشايخ الأجلاء المعروفين بالتوحيد والسنة في دولة الكويت.

وهو لم يُعرف بالرد على جهميٍّ ولا رافضيٍ ولا خارجيٍ ولا مرجيٍ! ولا إخوانيٍ ولا تبليغي ولا غيرهم من رؤوس الضلال، ولكن سهمه وكيده إنما هو على أهل السنة فيتكلم بلا أدبٍ ولا ديانةٍ ولا مراقبة لله تعالى فيما يقول.

---

[١] العرق بالدم، والعين بالدمع.

وهو أحقرُ شأناً عندي من أن يُلتفت إليه وأن يُصغى إلى رأيه وقوله! فهذا رجلٌ قد أكَلَ الحَسَدُ والجهلُ قلبَه! والاعراض عنه يزيده ذلاً ومهانة.

ولا ينبغي لفضلاء الإخوان الاشتغال بهذه الأمور، وتعطيل تعليم الناس الخير، والدعوة إلى الله تعالى، وطلب العلم وتحصيله، وإحياء المجالس بروح الوحيين، وقراءة كتب العلماء السالفين.

وقد مررت بغير مجلس، وبلغني أخبار مجالس تتصرم فيها الأوقات: في قال فلان، وردّ عليه علان! ثم تنقضي بغير علمٍ ولا فائدة، ولا أظنهم يفترقون بغير وزرٍ والحرمان من الأجر! بما يحصل في بعضها من: النيل من الأعراض، والفجر في الخصومة، واللغو واللغط، والسب والشتم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن كانت هذه مطيته، فإنما هو ممن يطلب الشهرة والتفات الوجوه إليه، والأيام دوَّارة، والليالي لا تقف! والفتن تحضر وتزول! والمقالات تظهر وتختفي! وسوف يختفي هؤلاء باختفاء تلك المسائل التي يثيرونها لأنهم لا يعرفون من العلم إلا هي! ويبقى العلم وأهله ينتفع بهم الناس! كما قال تعالى: ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ**﴾ [الرعد: ١٧].

فما العلم إلا ما ينتفع به الناس لا ذاك الذي يُغَالَبُ به الخصوم! ويثني على هذا ويسقط هذا، ويفرح بنصر هذا وهزيمة ذاك، ويسارع بزلةِ هذا وفضيحة الآخر، فهؤلاء كالقيعان لا تُنبت كلأ ولا تمسك ماء! كما قال رسول الله ﷺ: «**إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا**

منها، وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله عز وجل، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

فكونوا كمنابت الزرع، التي تنتفع بالماء وتنبت الكلأ، فاطلبوا العلم وحصلوه لتنفعوا أنفسكم، وتدفعوا الجهل عن دينكم، وينتفع الناس بكم اليوم وبعد اليوم إلى أن يشاء الله، واتركوا المراء والجدل، فإنهما لا يخلفان على قلب المؤمن إلا الضغينة والشكوك، ولا يعقبان طالب العلم إلا خسارة الوقت وضياع العلم! فهذا رسول الله ﷺ البشير النذير يبشركم فيقول: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**» أخرجه أبو داود.

وينذركم ﷺ فيقول: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدال، ثم تلا ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]** » . أخرجه الترمذي.

ألا يكفيكم هذا من رسول الله ﷺ؟

فاتركوا الجدال والخصومة رعاكم الله، وأعرضوا عن الجاهلين، فما شغبهم إلا صرير باب ينتهي بإغلاقه! وطنين ذباب يعبر عن أخلاقه، فلا تلفتوا لهؤلاء، وعلّموا الناس الخير، واعتبروا ما أنتم عليه من الغربة في الدين، وانتشار البدع والمنكرات، وصنوف الانحرافات والجهالات، وتسابق أهل البدع من الرافضة والخوارج والمرجئة والزنادقة إلى كسب الناس من طرقٍ شتى! **فإذا اشتغل بعضنا ببعض، وعطلنا دين الله تعالى عن تعلمه ودعوة الناس إليه، فمتى يُنصر الدين، وتقوم دعائمه؟**

ثم اعلموا أن ميزان الحق، وقدوة البشر، هو محمدﷺ رسول رب العالمين، والناس بعده يصيبون ويخطئون! ويُقبل منهم ويُرد، كما قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى في المشهور عنه: «**ما منّا إلا رادٌ ومردودٌ عليه إلا صاحب هذا القبر -وأشار إلى قبر النبيﷺ-**».

فلا يجوز لأحدٍ من الناس كائناً من كان أن يحمل الناس على دينِ أحدٍ من العلماء والصلحاء، ولا يدعوهم إلى ذلك، وإنما الدعوة تكون إلى الله على سنة رسول اللهﷺ كما قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِّ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِّ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف: ١٠٨].

والعلماء من ولاة الأمر وطاعتهم تأتي تبعاً لطاعة الله ورسولهﷺ، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِّ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ [النساء: ٥٩] وفي ذلك أن الردّ عند النزاع إلى الله ورسولهﷺ لا إلى قولِ أحدٍ من البشرِ كائناً من كان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (٣/ ٣٤٧): «فمن جعل شخصاً من الأشخاص غير رسول الله ﷺ من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة - كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك - كان من أهل البدع والضلال والتفرق».

واليوم: رأيتُ في قول ذلك المهبول! ومن على شاكلته إيجاب حمل الناس على مذهب عالمٍ من العلماء، ووصل من وصل، وهجر من هجر، وتزكية من زكى، وذم من ذم، وهذه ليست سلفية! هذه بدعية حزبية، بل من جنس دين اليهود والنصارى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (٢٨/ ١٥ -١٦): «وإذا جنى شخص فلا يجوز

أن يعاقب بغير العقوبة الشرعية **وليس لأحد من المتعلمين والأستاذين أن يعاقبه بما يشاء وليس لأحد أن يعاونه ولا يوافقه على ذلك مثل أن يأمر بهجر شخص فيهجره بغير ذنب شرعي أو يقول: أقعدته أو أهدرته أو نحو ذلك** فإن هذا من جنس ما يفعله القساقسة والرهبان مع النصارى والحزَّابون مع اليهود ومن جنس ما يفعله أئمة الضلالة والغواية مع أتباعهم. وقد قال الصديق الذي هو خليفة رسول الله ﷺ في أمته: أطيعوني ما أطعت الله فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم. وقد قال النبي ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**» وقال: «**من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه**».

فإذا كان المعلم أو الأستاذ قد أمر بهجر شخص؛ أو بإهداره وإسقاطه وإبعاده ونحو ذلك: نظر فيه فإن كان قد فعل ذنبا شرعيا عوقب بقدر ذنبه بلا زيادة وإن لم يكن أذنب ذنبا شرعيا لم يجز أن يعاقب بشيء لأجل غرض المعلم أو غيره. وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة.

والبغضاء بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى كما قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢].

وليس لأحدٍ منهم أن يأخذ على أحد عهداً بموافقته على كل ما يريده؛ وموالاة من يواليه؛ ومعاداة من يعاديه بل من فعل هذا كان من جنس جنكيزخان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقا مواليا ومن خالفهم عدوا باغيا؛ بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله؛ ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله؛ ويحرموا ما حرم الله ورسوله؛ ويرعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله» انتهى.

ثم اعلموا رحمني الله وإياكم أنه لا أحد معصومٌ من الخطأ إلا من عصم الله من رسله وأنبيائه في بيان ما أرسلوا به من الله، فليس كل من أخطأ يقابل بالهجر والزجر، والتحذير والتنفير، فإن هذا باب عظيم، وميدان واسع، ذهب الناس فيه في زماننا إلى

كل مذهب، وهم ما بين مفرّط وغالٍ، والحق في ذلك التفصيل بما يطول شرحه وبيانه، وقد بينته مفصلاً في رسالتي "العينية" ويلخصه كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في "الفتاوى" (٢٨/ ٢٠٦-٢٠٧) حيث قال: «الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله. فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعا. وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر؛ بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر. والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوما ويهجر آخرين، كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيرا من أكثر المؤلفة قلوبهم لما كان أولئك كانوا سادة مطاعين في عشائرهم فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم وهؤلاء كانوا مؤمنين والمؤمنون سواهم كثير فكان في هجرهم عز الدين وتطهيرهم من ذنوبهم وهذا كما أن المشروع في العدو القتال تارة والمهادنة تارة وأخذ الجزية تارة كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح. وجواب الأئمة كأحمد وغيره في هذا الباب مبني على هذا الأصل ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع كما كثر القدر في البصرة والتنجيم بخراسان والتشيع بالكوفة وبين ما ليس كذلك ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطرق إليه. وإذا عرف هذا فالهجرة الشرعية هي من الأعمال التي أمر الله بها ورسوله. فالطاعة لا بد أن تكون خالصة لله وأن تكون موافقة لأمره فتكون خالصة لله صوابا. فمن هجر لهوى نفسه أو هجر هجرا غير مأمور به: كان خارجا عن هذا. وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله».

فالأصل في المسلم (**المسالمة**) ورحمة العالمين، والأصل بين المؤمنين (**البر والصلة**) ولا يُخرج عن هذا الأصل إلا بموجبٍ شرعيٍ معتبر.

وهذا الموجب يختلف باختلاف:

[١] الهاجر.

[٢] المهجور.

[٣] المقالة.

[٤] الزمان.

[٥] المكان.

كما بينته كثيراً في مواطن عدة منها "الرسالة العينية" المشار فيها تقدم، ومن اتخذ (**الهجر**) قاعدةً مطردة مع كل خطإٍ من كلّ أحدٍ متغافلاً عن الاعتبارات الشرعية المحررة عند العلماء، وادعى التمسك ببعض أفعال السلف وأقوالهم في هجر أهل البدع، وطبقها على غير وجهها فقد جنى في الإسلام جناية عظيمة، وقارف الظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه وجعله بين عباده محرما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (٢٨/ ٢١٢-٢١٣): «فالهجران قد يكون مقصوده ترك سيئة البدعة التي هي ظلم وذنب وإثم وفساد وقد يكون مقصوده فعل حسنة الجهاد والنهي عن المنكر وعقوبة الظالمين لينزجروا ويرتدعوا. وليقوى الإيمان والعمل الصالح عند أهله. فإن عقوبة الظالم تمنع النفوس عن ظلمه وتحضها على فعل ضد ظلمه: من الإيمان والسنة ونحو ذلك. فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء أحد؛ بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها لم تكن هجرة مأمورا بها كما ذكره أحمد عن أهل خراسان إذ ذاك: أنهم لم يكونوا يقوون بالجهمية. فإذا عجزوا عن إظهار

العداوة لهم سقط الأمر بفعل هذه الحسنة وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوي.

وكذلك لما كثر القدر في أهل البصرة فلو ترك رواية الحديث عنهم لا ندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم. فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب: كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيرا من العكس، ولهذا كان الكلام في هذه المسائل فيه تفصيل.

وكثير من أجوبة الإمام أحمد وغيره من الأئمة خرج على سؤال سائل قد علم المسئول حاله أو خرج خطابا لمعين قد علم حاله فيكون بمنزلة قضايا الأعيان الصادرة عن الرسول ﷺ إنما يثبت حكمها في نظيرها. فإن أقواما جعلوا ذلك عاما فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به فلا يجب ولا يستحب وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات. وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية فلم يهجروا ما أمروا بهجره من السيئات البدعية؛ بل تركوها ترك المعرض؛ لا ترك المنتهي الكاره أو وقعوا فيها وقد يتركونها ترك المنتهي الكاره ولا ينهون عنها غيرهم ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها فيكونون قد ضيعوا من النهي عن المنكر ما أمروا به إيجابا أو استحبابا فهم بين فعل المنكر أو ترك النهي عنه وذلك فعل ما نهوا عنه وترك ما أمروا به. فهذا هذا. ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه. والله سبحانه أعلم».

فتأملوا هذا الكلام والذي قبله من هذا الإمام عليه رحمة الله تعالى وطبقوه على الواقع اليوم، لتعرفوا أن كثيراً من الهجر الذي ينادي إليه ذلك المهبول! ومن على شاكلته إنما دافعه فيه الهوى والبغي والعدوان! ولهذا تجدونه ومن على طريقته من أكثر الناس

اضطراباً في الهجر والتبديع وباب الأسماء والأحكام، لأن هجرهم وتبديعهم لم يكن على نور من الله، وكل ما لم يكن على نورٍ من الله فسيكون فيه اختلافاً كثيراً.

فيا معاشر الفضلاء:

الله الله في دين الله تعالى: تعلّماً وتعليماً ودعوة، وعليكم بتوحيد الكلمة، ونفع الناس، والجلوس للعامة، وتلقينهم أصول الدين، ومبادئ الشريعة، وإقامة المعاهد العلمية، وإحياء المساجد بالدروس، والاجتهاد في إعداد جيلٍ عليم بصير بأمور دينه، فناحيتكم معلومة بمناصرة الدعوة السلفية من ثلاثمئة سنة، ولا تزال الدعوة السلفية عزيزة منيعة فيها، والناس تقبل إليها، فلا يعطلكم قطّاع الطريق عن نصرتها والدعوة إليها، والله أسأل أن يجمع شملكم، وأن يؤلّف بين قلوبكم، وأن يمددكم بنصرٍ من عنده، وأن يجعلكم من أنصار دينه، وأن يعيذكم من كلِّ حاقد وجاحد وحاسد، والسلام الكريم يعود عليكم ورحمة الله وبركاته، ولا ينال سلامُ الله الظالمين.

كتبه

بدر بن علي بن طامي العتيبي

الطائف

سحر ليلة الاثنين ٢٠ صفر ١٤٣٥

من هجرة من بعثه الله رحمة للعالمين ﷺ